

المحاضرة الرابعة: أندري أنطوان الواقعية الطبيعية "المسرح الحر

أشهر التيارات الإخراجية الحديثة:

يتميز المسرح الحديث بتعدد الرؤى الفكرية والإيديولوجية، التي خلقت نوعا من الصراع الفكري حول ماهية ووظيفة المسرح، هل هو أخلاقي أم سياسي أم فني أم تربوي؟ وغيرها من الرؤى التي فسحت المجال لظهور المذاهب المسرحية أولا على مستوى الكتابة، ثم الاتجاهات الإخراجية على مستوى العرض ثانيا، لذا ارتأى البحث الولوج لإبراز أهم الاتجاهات الإخراجية ومساهمتها في تطوير الفن المسرحي عبر العالم، ثم تجربة المسرح الجزائري، المعتمدة على الاتجاه الواقعي.

– الواقعية التاريخية: (ساكس مينجن): يعد ساكس مينجن أول مخرج في تاريخ المسرح الغربي، وقد ساهم في إنتاج الصورة المسرحية التشكيلية ذات البعد الجمالي التي تشمل كل عمليات العرض المسرحي، كما ثار على مقومات المسرح التقليدي، واستبدلها بأسلوب العمل الجماعي، ويمتاز مينجن بالدقة التاريخية والأصالة الواقعية في التعبير المسرحي، ولا سيما في مسرحيته التاريخية (يوليوس قيصر)¹.

– الاتجاه الواقعي الجديد (Max Rinhardat) و (Jacques Coupeau) يعد المخرج ماكس رينهاردت Max Rinhardat من المخرجين الألمان البارزين الذين انزاحوا إلى النمط الواقعي المباشر، ومثل خصائص الواقعية الجديدة، وقد عرف بأسلوب الاستعراض المسرحي لذلك لقب بسلطان الاستعراض الكبير، أما جاك كوبوه Jacques Coupeau فهو مخرج فرنسي نهج منهج الاعتدال والتعقل وكان إخراجة يعتمد على النطق السليم والواضح والتمثيل الصامت المعبر والاشتغال على الفضاء الفارغ².

¹ – ينظر جميل حمداوي، الإخراج المسرحي واتجاهاته، مقال نقدي www.jamilhamdauoi.net تاريخ الزيارة، 2010/12/12/ على الساعة 21.00.

² – ينظر جميل حمداوي، الإخراج المسرحي واتجاهاته، www.jamilhamdauoi.net تاريخ الزيارة، 2010/12/12/ على الساعة 21.00.

أندريه أنطوان بين الطبيعية والجدار الرابع (المسرح الحر 1858/1943):

يمتاز مسرح أنطوان صاحب مدرسة المسرح الحر بالواقعية الفوتوغرافية في المسرح، حيث كان يركز على نقل تفاصيل الحياة الطبيعية والمعاشة إلى خشبة المسرح بدون تغييرات فنية كبيرة، وقد عاش هذا المخرج طفولة قاسية في فرنسا، حيث كان يعيل والديه وإخوته، فقطع دراسته واتجه إلى العمل، إذ اشتغل في عدة أعمال بسيطة إلى أن استقر به الحال بإحدى مكاتب باريس العامة، فكانت فرصته لتثقيف نفسه واكتساب المعرفة، وقد وجهته موهبته إلى المسرح، فانظم إلى فرقة هاوية سنة 1883، ثم ترأسها بفضل موهبته وتعلمه لأساسيات المسرح تعلمًا عصاميًا يقترب من الأكاديمية، غير أنه انفصل عن هذه الفرقة لعدم توافق طموحاتها مع أحلامه المسرحية، فأسس فرقة "المسرح الحر" التي حاول من خلالها تغيير الأسلوب الفني الذي كان سائدًا، لهذا يعتبر أندريه أنطوان أول من يمكن القول عنه أنه أدخل المسرح إلى مختبر التجريب، وقد كانت تعتبر هذه المرحلة مهمة جدًا في تاريخ المسرح المعاصر، فقد كان يرى أنطوان أن المسرح يحتاج إلى تغيير جذري في كل شيء، سواء في النص أو العرض بكل مستلزماته، وقد وافقت رغبته ظهور الاتجاه الطبيعي في الأدب على يد الكاتب إميل زولا الذي ركز على أن الأدب قطعة من الحياة، فاستعار أنطوان منه هذه المقولة ونقلها إلى المسرح وأصبح يعتبر أن المسرح قطعة من الحياة، وعلى الممثل أن يحس ويتصرف على خشبة المسرح كما يحس ويتصرف في الحياة العادية، كما يجب على الممثل إن يقوم بإيهام المتلقي بأن ما يحدث على الخشبة هو واقع مستعملًا مصطلح الجدار الرابع، الذي أساسه الإيهام وسلبية التفاعل مع الجمهور، بمعنى أن الممثل أثناء أدائه لدوره يلغي وجود الجمهور وكأنه يمثل في غرفة من أربعة جدران لا يشاهده فيها أحد، وهذا من أجل نزع الضغط على الممثل.

ومن أهم خصائص هذا التوجه نذكر:

- طبيعية المشاهد أي تقريب المسرح من الواقع لدرجة كبيرة

- الاعتماد على الإيهام

- الاعتماد على مفهوم الجدار الرابع

- مواصلة محاربة ظاهرة النجم

- فرض تصور الأداء من طرف المخرج على الممثل (الممثل ينفذ ما يراه المخرج وما يفكر فيه المخرج).

-اعتماده على التجريب في المسرح

وعلى الرغم من المبالغة في النزوح نحو الطبيعية في هذا التوجه فإن أنطوان استطاع أن يخلص المسرح مما كان يعانيه من قبل من ناحية أخلاقيات المهنة فلم يعد يذكر الممثل النجم إلا نادرا، وسادت روح الجماعة في أعماله، كما أنه أدخل المسرح إلى مخبر التجارب من أجل تطويره، فظهر معه المخرج المتخصص وظهرت فكرة تفسير النص، او المخرج المفسر، وكذا ضرورة ربط النص بالواقع الاجتماعي عن طريق القراءات المتعددة للنص وقراءة ما بين السطور إذ يقول في هذا الصدد حول فن الإخراج: " هناك اتجاهان معاصران في عمل المخرج، اتجاه تشكيلي يكمن في الديكور والأزياء والأكسسوارات والإضاءة.... والاتجاه الذي يمكن أن أسميه داخلي، وهو فن الكشف عن الأعماق الدفينة في النص المسرحي، أعني الأسرار النفسية والفلسفية، ويكون ذلك بالحركة التي أمليها على الممثل، بحيث تكون واضحة المعنى ودقيقة التوقيت مما يوصل إلى تفسير ما وراء الكلمات والأحداث "

يبدو من خلال هذه المقولة أن أنطوان أراد أن يصبر أغوار الشخصيات التي يجسدها ممثلوه، ولكنه لم يستطع الوصول إلى هذه النقطة وبقيت عروضه تقدم بحرفية واقع الحياة بدون عمق نفسي واضح إلى أن جاء أب الإخراج الحديث كوستنتين ستانسلافسكي.